التعايش في فكر النورسي
الوعي والممارسة

محمد بلبشير

جامعة تلمسان – الجزائر

هناك ضرورات معرفية واجتماعية قصوى، تتعلق ببذل الجهد العلمي والمعرفي في عملية تأصيل القيم والمفاهيم، التي تساهم في إدارة العمل الإيجابي لحالة التنوع والتعدد والاختلاف في المجتمعات الإنسانية، من أجل إقامة جسور التفاهم بين الإنسانية، في عالم متعدد الثقافات.

ولعل من أهم هذه القيم والمفاهيم، التي تحتاج إلى تأصيل وإظهار معالمها، هو مفهوم التعايش السلمي الذي يدعو إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي وتوثيق الأواصر الاجتماعية، فكل ما يدور في فلك التحابب والتسامح والتصالح يعد وسيلة إيجابية فاعلة لتحقيق التعايش بين الأمم، فالدعوة إلى كلمة سواء، ونبذ الخلاف والتنازع والتصارع، والدعوة إلى التعارف والحوار، من مظاهر التعايش الفاعلة في تهيئة الدواعي الأخلاقية، والنفسية والاجتماعية.

انطلاقا من هذا يمكننا أن نقترب من التجربة النورسيّة وتعزيز قيمة التعايش السلمي في ظل مشروع يتميز بالشمولية والاستمرارية... فالتجربة النورسية تعلمنا أن شرط انتظام الهيئة الاجتماعية أن لا تتجافى طبقات الإنسان. كما "أن الخير هو أصل العالم، والشر تبعي" وأن الحوار ليس مجرد وسيلة لحل الاضرابات والثورات فحسب، بل هو أسلوب للتعارف والتعايش والتكافل بين الشعوب من أجل تحسين ظروف البشرية، إنه الطريق الذي يسلك بالإنسانية مسلكا يؤدي إلى بناء علاقات أخوية متكاملة، مسلك الخلة والأخوة، بدل الاستعلاء والأنانية، مسلك التسامح بدل العنف.

لعلّ السؤال الذي يواجهنا، ونحن بصدد قراءة النورسي من منظور التعايش. أين تجليات الإبداع المنهجي والتأصيلي في مقاربة النورسي للتعايش؟

والهدفية هنا رؤية تبرز فن التعايش الذي رصده النورسي في مقارباته.

خيوط القضية هو ماتحاول الدراسة لم شتاته، وصولا إلى مجمع البحرين، حين يخدم النص الحق.

أولا: مفهوم التعايش.

يرد في معاجم اللغة العربية كلمة عيش: العيش أي الحياة، عاش يعيش عيشا، وعيشة أو معاشا وعيشوشة، والعيشة ضرب من العيش، يقال عاش عيشة صدق وعيشة سوء، والمعيشة ما يعاش به، والعيش: المطعم والمشرب وما تكون به الحياة، قال الجواهري: "كل واحد من قوله معاشا ومعيشا" يصلح أن يكون مصدرا و أن يكون اسما[1].

والعيش معناه الحياة، وهو العيش على هذه الارض من بني آدم كافة دون تفريق، وتعني الاشتراك في الحياة على الإلفة والمودة[2].

وسيرا على هذا المعنى فإن مصطلح "التعايش" يعني البديل على العلاقة العدائية بين الشعوب بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم وعقائدهم المتباينة.

مفهوم التعايش عند النورسي:

لا شك أنّ مفهوم التعايش عند الأستاذ النورسي تمخض من معايشته لمحن تاريخية سلبت البشرية الراحة والأمان، كما هو في هذا العصر، حتى أصبح العمل السلبي مسلكا متحكما في العقول والقلوب، فكانت لغة الرسائل بكافة أبعادها أدبيات وأطياف لغة إنسانية وعالمية، تدعو إلى "التعايش" بدل "الإقصاء"، و"الحق" بدل "القوة" و"الحوار" بدل "الصراع"...

يقول الأستاذ النورسي: "أما المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي ستنكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً ايجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية.

نعم! إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة. والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبة والتجاذب.

وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية. وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، مادة عيش.

(٢) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، مادة عيش.

عند اعتداء الاجانب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد. وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الانسانية الى مراقي الكمالات، فهي اذ تحدد الهوى وتحدّ من النزعات النفسانية تُطمئن الروح وتشوقها الى المعالي"[١].

ويشترط الأستاذ النورسي أن يقوم التعايش على قدم المساواة، وعلى احترام تعدد الثقافات، وهو ما يمكن أن نخلصه من قوله: "اعلم! ان شرط انتظام الهيئة الاجتماعية ان لا تتجافى طبقات الإنسان وأن لا تتباعد طبقةُ الخواص عن طبقة العوام، والأغنياء عن الفقراء بدرجة ينقطع خيط الصلة بينهم"[٢].

كما يؤكد أنّه "لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلاّ بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، اي بين الاغنياء والفقراء، واساس هذا التوزان هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، واطاعة العوام واحترامهم للخواص"[٣].

فالتعايش عند النورسي هو "الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر "كما أنّه "الرابطة لجريان مادة الحياة بينهم"[٤].

وهو تجسيد للحوار الذي يؤسس للتسامح، الذي لا يخضع للمساومات الفكرية أو الدينية، ولا يأتي نتاجا لموقف تلفيقي بل يحترم المميزات وخصوصيات الجماعات فيما بينها دون القفز فوق الفوارق، ويعترف بوجود تلك التباينات، ويقوم التعايش الديني أو الحضاري أو الثقافي في مفهومه على التقاء اهل الحضارات والأديان والثقافات معا، وخلق تحالف يعمل من أجل خير المجتمعات وأمنها.

---

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ص: ٣٥٩.

(٢) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ٥٤.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ٤٧٤.

(٤) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، مرجع سابق، ص: ٥٤.

إنّ دعوة النورسي إلى التعايش هو تبيان لمعالم الطريق، للخروج من العمل السلبي إلى العمل الإيجابي المؤسس على الحوار الإيجابي بين بني البشر، عبر نظام رباني تنشده الانسانية.

فقدم بذلك الأستاذ النورسي رسائل النور التي كانت رؤية مجاوزة لأفق الانسداد، بغرس قيم العمل الإيجابي، المؤسس على ثقافة التعايش، ودفع كل ما من شأنه تعريض الإنسانية للصراع، ومنح "أفراد [الانسانية] ما يفيد في اجتياز قلقهم الروحي بنجاح، وتخطي عواطف شكوكهم بسلام"(١).

فالتعايش في مفهوم رسائل النور ينبع من مبدأ جعل سعادة الإنسان غاية تلك ذلك التعايش، مادام وجود الإنسان يشكل منطقة المركز في فكر سعيد النورسي وقطب الرحى في رسائله"(٢).

كما أنّ دعوة رسائل النور للتعايش لا تعد استجابة لظرفية زمنية خاصة أصابت البشريّة، أو مشروعا تجزيئيا يهم جماعة دون أخرى، بل هو مشروع يتميز بالشمولية والاستمرارية، لأنّ رسائل النور "معجزة قرآنية تستطيع أن تنوّر هذا العصر، بل العصر المقبل"(٣)، "بل أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والماء"(٤).

ثانيا: مبادئ التعايش الإنساني:

الناظر لرسائل النور يلحظ أن الهدف من التعايش هو تغليب العمل الإيجابي على العمل السلبي الذي يولد الانشغال بمبادئ تجعل البشريّة تتعايش فيما بينها بالضرورة، .."وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور وتطمين مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل العليا لجعل الإنسان انسانا حقا"(٥).

---

(١) سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ١٣.

(٢) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، مركز الكاتب للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م، ص: ١٠.

(٣) سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ١٠٠.

(٤) المرجع نفسه: ص: ١٠٥.

(٥) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٤٧٣.

لذا ينطلق الأستاذ النورسي في مشروعه التعايشي من مبادئ أساسية لا غنى لهذا التعايش عنها، تبدأ بفطرية الاجتماع، ثم فطرية الخير، ويلي ذلك الأخلاق، وهذه المبادئ وغيرها، في حد ذاتها عمل إيجابي يضمن التعايش الإنساني، وإقامة السد المنيع أمام المصائب والأمراض والآلام، وسائر المؤثرات المهيجة، والمحركة للصراع العالمي.

١ – فطرية الاجتماع:

يرى الاستاذ النورسي أن "الإنسان هو ثمرة العالم، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربانية، وأكثرها عجزا وضعفا ولطفا"(١).

والضعف الذي وصف به الإنسان – هنا– من حيث هو (ثمرة)، إنما هو بالمعنى الايجابي لا المعنى السلبي. فالضعف البشري هو باب العبودية لله القوي العظيم(٢).

فالخالق الذي أبدع الإنسان بصفته جزءا من الإبداع الكوني العام ركب فيه نزعة الحاجة إلى الاجتماع تجسيدا لممارسة السلوك العبادي الذي يتطلب مفروضية اجتماعية بدأ من عملية التناسل لاستمرار البشر مرورا بعملية توصيل الدساتير الإلهية إليهم بممارسة المبادئ الاجتماعية المفروضة عليهم، كما أنّه لا يمكن تمرير المهمة العبادية من خلال العلاقات التي تفرضها هذه المبادئ، ولا يمكن تمرير هذه العلاقات إلاّ من خلال النزوع الفطري الذي يحمل الناس على التعايش فيما بينهم، وهذا ما عبّر عنه الأستاذ النورسي في مناسبات كثيرة فقال في رسائله: "أما الإنسان... فهو عندما يقدم على الدنيا يقدمها وهو محتاج إلى تعلّم كل شيئ وإدراكه، ...ولا يمكنه أن يحقق لنفسه منافع حياته ومصالحها ولا دفع الضرر عنها إلا بالتعاون والانخراط في الحياة الاجتماعية البشرية"(٣).

ويقول أيضا: "كما أن الانسان — خلافا للحيوان– ذو علاقة مع بيئته، فهو أيضا ذو ارتباط وثيق مع الدنيا، ومثلما أنّه مرتبط بأقاربه بروابط ووشائج، فهو كذلك ذو نسب فطري بالجنس البشري"(٤).

---

(١) سعيد النورسي: المرجع نفسه، ص: ٤١٨.

(٢) فريد الانصاري: مفاتح النور، نسل للنشر، إستانبول، تركيا، ط٢٠٠٤ م، ص: ٩٥.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٣٥٥ و٥٥٤.

(٤) سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ٢٧٧.

ويذكر في المكتوبات أنّه "من المعلوم أن الانسان ذو علاقة – من حيث الانسانية – مع أكثر الموجودات، فيتلذذ بسعادتها ويتألم بمصائبها، ولا سيما مع ذوي الحياة، وبخاصة مع الإنسان، وبالأخص مع من يحبهم ويعجب بهم ويحترمهم من أهل الكمال، فهو أشد تألما بآلامهم، وأكثر سعادة بسعادتهم، حتى يضحي بسعادته في سبيل اسعادهم، كتضحية الوالدة الشفيقة بسعادتها وراحتها من أجل ولدها"[1].

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾...(سورة الحجرات: الآية: ١٣)، يقرر بأن "التعارف" هو عمل إيجابي من أجل أن تعيش البشرية متآخية، يتعايشون على مبدأ التعاون والتساند والتعايش، بدلا من الصراع والقوة والعنصرية.

يقول الأستاذ النورسي: "خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا، وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا"[2].

فالنّاس جميعا على اختلاف أجناسهم، وتمايز ألوانهم وتباعد أمصارهم، وتنوع مشاربهم "لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ...وهكذا واحد، واحد، إلى الألوف من جهات الوحدة، التي تقتضي الأخوة والمحبة. بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل . كما تعلنه الآية الكريمة . ماهو إلاّ للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم"[3]. فالجميع يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة، وهذا بمثابة التنبيه العملي إلى ضرورة تجاوز العمل السلبي من تكبر وتعجرف، بوصفها أمراضا تصيب الإنسانية حين الغفلة عن العمل الإيجابي من الأخوة الانسانية المحددة بالأبوة الواحدة[4].

وهكذا ورد الإعلان الإلهي خلقتم لتعارفوا، فتعاونوا وتحابوا، لا لتناكروا فتعاندوا فتتعادوا، إذ كما أن هناك روابط تربط الجندي بفصيله وفوجه ولوائه وفرقته في الجيش، وله

---

(١) سعيد النورسي: المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٧٢.

(٢) سعيد النورسي: المرجع نفسه، ص: ٤١٣.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٤١٤.

(٤) عمار جيدل: ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية، نسل للطبع والنشر، استانبول، تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص: ٣٣.

واجب ووظيفة في كل منها، كذلك كل إنسان في المجتمع له روابط متسلسلة، ووظائف مترابطة، فلو اختلطت هذه والروابط والوظائف، ولم تعيّن وتحدّد لما كان هناك تعاون ولا تعارف. فالشعور الإيجابي بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف. اما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند[1].

انطلاقا من هذه الدعوة النورية إلى الأخوة الإنسانية، التي تستند إلى وحدة الأصل الإنساني، تستوجب أن يؤدى حقها، بأن يعيشوا مع بعضهم البعض في حب و وئام وسلام، رغم اختلاف العقائد والأديان والثقافات.

٢– فطرية الخير:

إنّ وجود حد أدنى من الخيرية متمثلة في وجود حد أدنى من الاجتماع تحمل الإنسانية فطريا على التعايش فيما بينها، وتعكس رسائل النور في الدعوة لتكامل صورة التعايش الإيجابي بين الجميع، عبر نظام رباني تنشده الانسانية، ينتج عنه التآلف والتساكن، وتعميم الخير ودفع الشر، "لأنّ الخير أصل العالم، والشر تبعي، ولأنّ الخير كلّي والشر جزئي"[2].

ويقر الأستاذ النورسي أن طبيعة هذا الوجود تتأهل للخير والتعمير، والنماء، وأنّ الشر هو العدم والفناء، ....من هنا كانت أعمال الشر مفضية إلى العدمية إذ العدم أساس الشرور، ومن هنا كان الشر طارئا على الكون، غير منسجم مع مراميه[3].

كما يذهب الأستاذ إلى أن "الكمال والخير والحسن في الكائنات هي المقصودة بالذات وهي الكليات؛ وان الشر والقبح والنقصان جزئيات بالنسبة اليها قليلة تبعية مغمورة في الخلقة، خلقها خالقها منتشرة بين الحسن والكمال، لا لذاتها، بل لتكون مقدمة، وواحداً قياسياً، لظهور – بل لوجود – الحقائق النسبية للخير والكمال".

بهذا يرسي الأستاذ النورسي أساس مبدأ فطرية الخير في الإنسانية، وينبه على أنّ الشر ليس أصلا في العالم، وإنما سبيل لمعرفة الخير، لذلك لابد من انتصار قوة الخير على قوة الشر من أجل نجاح مشروع عالم تتعدد فيه الهويات الثقافية والعيش في سلام.

---

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٣٤–٣٣٥.

(٢) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٥.

(٣) سعيد النورسي: الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٣٢٠.

٣- الأخلاق:

من مبادئ العمل الإيجابي في بعث ثقافة التعايش عند الأستاذ النورسي تعميق جذور كليات القيم وإحياء النظرة الإنسانية العالمية الشاملة للأخلاق، لذا وضع مشروعا إيمانيا أخلاقيا كونيا قائما على أساس التلاقي والتعارف والتعاون، تحقيقا للوعود ودفعا للمخاطر.

فعرّف الأخلاق على أنّها: "تطبيع صورة الروح الإنسانية بماهيتها، بينما الولع بالصور فإنّه يفسد الأخلاق ويهدمها كليّا، ويؤدي إلى انحطاط الروح وتردّيها"(١)، كما يذكر أن "الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة ـ التي يأمر بها الله سبحانه وتعالى ـ."(٢).

وحذر من العمل السلبي في زعزعة بناء ثقافة التعايش، بتسلط الأفكار والفلسفات المادية المؤمنة بأن "ركيزة الحياة البشرية الإنسانية هي "القوة" وهي تستهدف المنفعة في كل شيء، وتتخذ الصراع دستورا الحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات، وغايتها هي "لهو عابث" لإشباع رغبات الأهواء وميول النّفس التي من شأنها تزييد جموح النفس وإثارة الهوى"(٣).

لذلك سعى الأستاذ النورسي إلى بيان عدم جدوى هذا المسلك، فأكد على أن الدساتير والأسس التي تستند إليها هذه الأفكار "هي التي جعلتها عاجزة ـ مع محاسنها ـ على أن تمنح سوى عشرين بالمئة من البشر سعادة ظاهرية، بينما ألقت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق"(٤).

وقدم بالمقابل عملا إيجابيا ينطلق من منظور شمولي للأخلاق القرآنية، وهذا من أجل إعادة بناء ثقافة التعايش، كما أكد على أهمية البعد الروحي في الشخصية الإنسانية الميالة إلى التكامل والتعاضد، بدل التضاد والتناقض" وهذا بدفع الروح إلى معالي الأمور واشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية.

إذ شأن الحق هو "الإنفاق"، وشأن الفضيلة هو "التساند"، وشأن دستور "التعاون"

---

(١) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٤٧٦.

(٢) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٦٤٢.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٤٧٢.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٤٧٢.

هو "إغاثة كل للآخر"...وشأن الدين هو "الأخوة والتكاثف"...وشأن "إلجام النفس" وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو "سعادة الدارين"[١].

وبهذا يقدم لنا الأستاذ النورسي الأخلاق باعتبارها عملا إيجابيا يحول الإنسانية من موقع العداوة والخصومة، إلى موقع التعايش في محبة وسلام وتفاهم.

ثالثا: أسس التعايش السلمي:

تعلن رسائل النور مجموعة أسس لبناء مجتمع تتعايش فيه الإنسانية في سلام واطمئنان، والتي يمكن تحديدها فيما يلي:

١- رفض الطغيان والأنانية.

يرى الأستاذ سعيد النورسي أن أصحاب مسلك الطغيان، والأنانية يسدون كل باب التعايش، ويوصدون أي منفذ للتفاهم، وهو ما يتجلى في تحذيره من الحضارة الأوروبية الضارة[٢]، على أنها حضارة متعالية حتى شبهها بقارون، يقول الأستاذ: "إن الحضارة الأوروبية المؤسسة على أسس فاسدة تدعي أن كل ما أتاها هو من عندها، كإدعاء قارون"[٣].

لذلك خاطبها بقوله: "إنّ الذي يتلقى الدروس منك، ويسترشد هديك، يصبح فرعونا طاغيا"[٤]، والطغيان ينتج عنه الأنانية والغرور وحب الذات وإقصاء المختلف (الآخر)، وهذه لا تستقيم مع العمل الإيجابي للتعايش السلمي.

وقد تنبّه الاستاذ النورسي إلى أصل هذا الداء، وحذر من خطورته على المجتمع الإنساني، حيث يقول: "إن أس أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الانساني انما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضا.

الكلمة الأولى: (اِنْ شَبِعْتُ فلا عليَّ اَن يموتَ غيرِي من الجُوعِ").

الكلمة الثانية: (اِكْتَسِبْ اَنْتَ لآكُلَ اَنَا. واتْعَبْ انتَ لأَستريحَ اَنَا")"[٥].

---

(١) المرجع نفسه، ص: ١٤٥و٤٧٢.

(٢) يقسم الأستاذ النورسي أوربا إلى قسمين: القسم الاول أوروبا نافعة للبشرية والقسم الثاني أوروبا ضارة للبشرية. ينظر: سعيد النورسي: اللمعات، مرجع سابق، ص: ١٧٦ -١٧٧.

(٣) سعيد النورسي: الملاحق، مرجع سابق، ص: ١٠٩.

(٤) سعيد النورسي: اللمعات، مرجع سابق، ص: ١٨١.

(٥) سعيد النورسي: الكلمات، ص: ٤٧٣-٤٧٤.

فالكلمة الأولى الغدارة النَهِمَة الشنعاء هي التي زلزلت العالم الانسانيَّ فاشرف على الخراب.

والكلمة الثانية الظالمة الحريصة الشوهاء هي التي هارت بترقِّيات البشر فأوشك أن تنهار بها في نار الهَرْج والمَرْج"[1].

فالأنا عند هؤلاء مبني على السيطرة، سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعا لها، سواء كان هذا الموضوع أشياء الطبيعة أو أناسا آخرين، ومن خلال هذا التصور لـ(الأنا) كمبدأ للسيطرة يتحدد موقع المختلف (الآخر) ودلالته ووظيفته في فكرهم، أي بوصفه موضوعا للسيطرة، أو عدوا، أو بوصفه قنطرة تتعرف الذات من خلالها على نفسها.

فأنانية الإنسان، وأنانية الشعوب والمدنيات، القائمة على "العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين"[2]، هو ما يفاقم من أسباب التصادم والتناحر، فشعار الكلمة الأولى والكلمة الثانية، لا يترك مجالا للتعايش.

فالعيش بسلام ووئام لا يمكن أن يكون في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام"[3].

ولما كان "أهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا 'أنا' فهو يجوب بهم في وديان الضلالة"[4]، فإن الأستاذ النورسي يرى أن الأنا كما الآخر (المختلف)، ليس رقعة جغرافية، وإنما ينظر إلى الأنا باعتبارها القيم الأصيلة، والميادين العليا التي جاء بها القرآن الكريم، إضافة للخريطة الادراكية لمضمون (الأنا) في الخطاب المعرفي لرسائل النور، فحينما يستخدم مصطلح الأنا فإن المقصود من ذلك القيم المعيارية المطلقة على الواقع النسبي المتحرك والمتغير.

يقول الأستاذ النورسي: "إنّ لهذا العصر مرضاً داهماً. وهو الأنانية وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة وامثالها من الأمراض المزمنة. ان اول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الانانية

---

(١) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ص: ٥٤.

(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ١٣٩.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، ص: ٤٧٤.

(٤) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٥٤٩.

وحب النفس. حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقلد بالإخلاص الحقيقي"[١].

ويبيّن الأستاذ النورسي أنّه "اندرجت في "أنا" آلاف الأحوال والصفات والمشاعر المنطوية على آلاف الأسرار المغلقة التي تستطيع ان تدل وتبيّن . الى حدٍ ما . الصفات الإلهية وشؤونها الحكيمة كلها.

أي أن "أنا" لايحمل في ذاته معنىً، بل يدل على معنىً في غيره؛ كالمرآة العاكسة، والوحدة القياسية، وآلة الانكشاف"[٢].

من هنا دأب الأستاذ النورسي إلى علاج داء الاستعلاء والأنانية مع تبين معنى "أنا"، وإبراز حقيقة الصلة بين الانسان وخالقه سبحانه وتعالى، لتحديد طريق التخلص من سيطرة "الأنا"على الانسان، وترقيته بمدارج الصلاح الخلقي، بصورة تحقق له توازنا فطريا، وكمالا حقيقا لا وهميا، تجعله في علاقة شاملة مع الإنسان المختلف (الآخر)، علاقة معايشة وانتماء تتجسد فيها معايير السلوك وعناصر الضبط الاجتماعي من أجل العيش في سلام.

٢- التسامح بدل العنف:

عوائق كثيرة تحول دون قيام عمل إيجابي، ومعها متغيرات حالية يعرفها العالم، وهي تنذر بالمزيد من التناقضات والمشكلات، وخاصة ما يتعلق بصعوبة التعايش في سلام، مما يجعل الحاجة ماسة إلى تغيير هذا الواقع، ولا سبيل لهذا التغيير غير البدء بنشر ثقافة التسامح ونبذ العنف والعداوة.

فالعداء كما يعرفه الأستاذ النورسي: "ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو زعاف لحياة البشرية قاطبة"[٣]. وداء خطير "ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الاسلام الذي يمثل روح الانسانية الكبرى"[٤].

فالأستاذ النورسي يرفض العداء أيا كان مصدره ومنشؤه ومبعثه وأسبابه، لهذا وضح حقيقة عداء الانسان لأخيه الإنسان، في ستة أوجه كيمكن جملها كالآتي:

- **الوجه الاول:** عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم في نظر الحقيقة.

---

(١) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٧٤.

(٢) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٦٣٧.

(٣) سعيد النورسي: المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٣٩.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٣٤٠-٣٤١.

- **الوجه الثاني**: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم في نظر الحكمة.
- **الوجه الثالث**: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم في نظر الشريعة الاسلامية.
- **الوجه الرابع**: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم مبين حيث الحياة الشخصية.
- **الوجه الخامس**: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم يؤشر سلبا على الحياة الاجتماعية، ويولد الخصام والتنافر والعناد.
- **الوجه السادس**: العداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية، فتتأذى سلامة عبوديته لله[1].

فالعداء هو عنوان العمل السلبي يأبى الأستاذ النورسي أن يرى الإنسان واقعا تحت نبره، ذلك لأن الأستاذ يقدر تلك الأبعاد الهدمية للعداوة الناتجة عن اختلالات النفس والمشاعر، لا تطال الأفراد المتباغضة فحسب، ولكنها تطال المبدأ الإنساني بكليته.

ومن هنا وضح أن كل من الحقيقة والحكمة ترفضان العداء، باعتبارهما ميزتين إنسانيتين تشترك فيهما الإنسانية جمعاء، "فهذا العداء والحقد الذي يسوق الإنسان حتما إلى الرغبة ضمنا فى اغراق سفينة وجوده، أو حرق بناء كيانه، وماهذا إلا ظلم شنيع، وغدر فاضح"[2].

لهذا تعمل رسائل النور إلى إشاعة روح المحبة والتسامح بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتوطين أنفسهم على العفو و الصفح، لأنّه لا يمكن الوقوف ضد نزعات القتل والإلغاء لدواعي دينية، أو مذهبية أو قومية، إلا بتعميق خيار التسامح في العالم، هذا الخيار هو الذي يساهم في إعادة صياغة علاقة الإنسان بأفكاره وعقائده، فالتعصب الأعمى للذات هو الذي يدفع الإنسان للتجاوز والاعتداء على حقوق وكرامات الآخرين. وثقافة التسامح هي التي تضبط علاقة الإنسان بذاته أوبالآخر، بحيث لا تصل إلى مستوى التعصب الذي يقود صاحبه للقتل وممارسة التدمير باسم القيم والعقيدة.

وقد بسط الأستاذ النورسي الكلام في وصف هذا العلاج وبيان آثاره الايجابية، حيث وضع دعائم دستور التسامح لطلاب رسائل النور، حين يقول لهم: "اعفوا عن هفوات

---

(١) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٣٤٠ –٣٥٠.

(٢) المرجع نفسه، ص:٣٤٠.

اخوانكم، واصفحوا عن تقصيرا تهم، وغضوا أبصاركم عن عيوب بعضكم البعض الآخر"[١].
"أوصي طلابي أن لا يحمل أحد منهم شيئا من روح الانتقام في قلبه ولو بمقدار ذرة"[٢].

فترسيخ العمل الإيجابي بثقافة روح التسامح بين الأفراد كان دستور رسائل النور، وكان الأستاذ النورسي متسامحا مع كل الناس حتى مع أعدائه، يقول متحدثا عن نفسه: "إنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألا أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله، بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل"[٣].

فالنورسي يدعو إلى مقابلة العمل السلبي بالعمل الإيجابي، مقابلة العداوة بالتسامح، من منطلق المحبة والشفقة، "كانت "الشفقة" دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، واساس مسلكى ومسلك رسائل النور، فانني لا اتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل لا استطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم، وذلك لكي لا اتسبب في الحاق الضرر باي شخص برئ. بل ان هذه الشفقة هي التي منعتني من أن أتعرض – أو حتى ان ادعو – على بعض الفساق بل الظالمين اللادينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي، ذلك لكي لا اتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز المساكين من امثال والد ذلك الظالم أو والدته، أو في الاضرار بأنفس بريئة مثل أولاده. لذا فمن أجل أربع أو خمس من الأنفس البريئة لا أستطيع التعرض لذلك الظالم"[٤].

بهذه الروح النورسية من التسامح كان الأستاذ يخشى حتّى من إلحاق أي ضرر بأعدائه، لأن هذا الضرر يمكن أن يصيب من حولهم من نفوس أقاربهم، وهي نفوس بريئة، وبتلك الروح الفياضة من التسامح كان الأستاذ يواجه أعداءه، ويبث ذلك التسامح بين طلابه، وهي دعوة إيجابية في درء العداوة والعنف، لبناء علاقة اجتماعية تسودها المحبة والسلام والألفة والأخوة.

فالأستاذ النورسي اهتم بجميع العناصر واللوازم الإنسانية ولا سيما بالمقولات الثلاثة من

---

(١) سعيد النورسي: اللمعات، ص: ٢٣٥.
(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٤٤.
(٣) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٦٩.
(٤) سعيد النورسي: الشعاعات، ص: ٤٣٩.

الحب والعدالة والإيمان، وبدعوته إلى هذا يحذر من العداوة والظلم والكفر الذي يجر الإنسان إلى الهلاك والدمار.

ويبين أنّ مذهبه في هذا بقوله: "إن مذهبي هو ابداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن أحبّ شئ إليّ في الدنيا هي المحبة، وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء"[1].

٣- العدالة كيمياء التعايش:

تتضح علاقة العدالة بالتعايش السلمي لدى الأستاذ النورسي من خلال رؤيته الفكرية الاجتماعية التي يشير فيها إلى أن العدالة ضرورة اجتماعية بحكم الطبيعة البشرية ومتطلباتها، التي لا تتحقق إلاّ في ضوء تعاون اجتماعي، "فالإنسان لا يعيش عيش الحيوانات، ولا يسعه ذلك فهو محتاج لتحصيل حاجاته في مأكله وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها واتقانها بصنائع جمة، لا يقتدر هو بانفراده عليها كلها، لهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. ولكن لتجاوز قوى الانسانية على الآخرين، . بسر عدم التحديد . تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي....ثم لأن عقل كل أحد لا يكفي في درك العدالة، احتاج النوع إلى عقل كلي للعدالة، يستفيد منه عقول العموم، وما ذلك العقل إلاّ قانون كلّي، وما هو إلاّ الشريعة"[2].

من المهام التي طلب الأستاذ النورسي مجابهتها دساتير المدنية الظالمة، لذلك بين عملها السلبي المنافي للعدالة وروح التعايش، قال الأستاذ: "إن دستور المدنية الظالم هو: "أن يضحي بالفرد لأجل الجماعة، ولا ينظر إلى الحقوق الجزئية من أجل سلامة الأمة، وقد فتح هذا الدستور ميدان مظالم شنيعة لم يُر مثلها حتى في القرون الاولى. بينما العدالة الحقيقية للقرآن المبين أنه لايُفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق حق، لاينظر إلى كثيره وقليله"[3].

لقد تنبه الأستاذ بدقة بالغة إلى كل تطلعات الدول الكبرى للسيطرة على العالم، وما ارتكبته من جرائم وحشية بحق البشرية من منطلق المصالح العنصرية والأحقاد، يقول رحمه الله

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٤٢٣.

(٢) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ص: ١٤٧-١٤٨. و- صيقل الإسلام، ص: ١٣٧-١٣٨.

(٣) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٦٨. والملاحق، ص: ١٧٢.

وهو يرد على سؤال ورد من قبل طلاب رسائل النور، عن حرب في زمنه، ولعلنا نسأله مرة أخرى عن الحروب في زمننا هذا فيجيب: "إنّ الإنسان الذي يخوض غمار هذه الحرب الطاحنة يمثل أصدق تمثيل الآية الكريمة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الاحزاب: ٧٢) لذا لايجوز النظر الى المظالم المحيرة فضلاً عن موالاة تلك التيارات وتتبع اخبارها والاستماع الى دعاياتهم الكاذبة الخدّاعة ومشاهدة معاركها بأسىً وحزن. لأن الرضى بالظلم ظلم واذا ما مال اليه يكون ظالماً. واذا ما ركن اليه ينال زجر الآية الكريمة ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ (هود: ١١٣).

نعم، لأن هذه الحرب المدمرة ليست لأجل إحقاق الحق وإرساء الحقيقة ولا لأجل اعلاء شأن الدين واقرار العدالة، بل تستند الى العناد والعصبية القومية والمصلحة النوعية واشباع انانية النفس، فترتكب مظالم شنيعة ومآسي أليمة لم يُرمثيلها في العالم. والدليل على ذلك:

إفناء الابرياء من اطفال وعوائل وشيوخ ومرضى بالقنابل المدمرة بحجة وجود جندي أو اثنين من جنود الاعداء فيما بينهم.. واتفاق أعتى المستبدين من البرجوازيين مع الفوضيين والارهابيين الذين هم المتطرفون من الاشتراكين والشيوعيين وإهدار دماء ألوف بل ملايين من الأبرياء.. والاستمرار في هذه الحرب الضارة للإنسانية جمعاء.. وردّ الصلح والسلام.. لذا فإن الإسلام والقرآن الكريم بريئان بلاشك من مثل هذه الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أي قانون كان من قوانين العدالة ولا مع الانسانية ولا مع اي دستور كان من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق. ولا يتنازلان ولا يتذللان لمعاونة أولئك؛ لأن فرعونية رهيبة ومصلحية عجيبة تستحوذان فيهم بحيث لا يمدون يد العون إلى القرآن والإسلام بل يحاولون جعلهما آلتين طيعتين في سبيل مآربهم. فلا شك ان أحقية القرآن تأبى الاستناد الى سيوف ظالمين كهؤلاء. بل الفرض على اهل القرآن والواجب عليهم الاستناد الى قدرة رب العالمين ورحمته بدلاً من الاستناد الى قوة عجنت بدماء ملايين الابرياء"[1].

ومن ثم يمكننا القول: إن دعوة الأستاذ النورسي إلى ترسيخ العدالة في المجتمع يمكن أن تساهم بشكل فعال في مجابهة العنف والظلم، وقبول الشعوب لمبدأ التعاون، الذي ينبغي أن

(١) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٢٠٣.

ينصب على تحقيق عدالة إنسانية شاملة، تستند على مبدأ المساواة بين الشعوب واحترام الأديان والثقافات، وبذلك فالعدالة هي جوهر وروح التعايش الحقيقي الذي هو غاية خلق الإنسان وسعادته.

٤- العلم روح التعايش:

يؤمن الأستاذ النورسي بمبدأ الحق للبشر في تداول الانجازات العلمية، إذ بتوسع المعرفة الإنسانية يتحقق التطور، والتطور حينما ينبني على مسطرة من المنفعة العامة، ينعكس على الإنسانية جمعاء.

لهذا كان أكبر همّه البحث عن مسلك يجعل العلم وما يتوصل إليه مفيد ونافع، يقول الأستاذ: "نعم إنه لا بد من البحث عن علاج وعن وسيلة للوصول إلى جعل تلك المعلومات العلمية، والمعارف الفلسفية مفيدة ونافعة، منورة مضيئة، حية نابضة، تتدفق بالرواء والعطاء"(١).

لذلك نجده يدعو إلى الأخذ بعلوم الغرب مع الحفاظ على القواعد الأخلاقية والإنسانية، لأن ثقافة العلوم الغربية قسمات، قسم نافع وقسم ضار، يقول الأستاذ: "ولئلا يُساء الفهمُ لابد أن ننبه: أن أوروبا اثنتان.

احداها: هي أوربا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدّت خدماتٍ لحياة الانسان الاجتماعية، بما توصلت اليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والانصاف، فلا أخاطب - في هذه المحاورة - هذا القسم من اوربا. وانما أخاطب اوربا الثانية تلك التي تعفّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحَسِبتْ سيئات الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوءها فضائل. فساقت البشرية الى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة.

ولقد خاطبتُ في تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الاوربية بعد أن استثنيت محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة"(٢).

فالأستاذ النورسي كان يعلم أن ما تنتجه المعارف وما يتوصل إليه العلم يمكن أن تكون

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٤٦.

(٢) سعيد النورسي: اللمعات، ص: ١٧٦- ١٧٧.

له نتائجه العكسية على سعادة الانسانية وتطورها، لذلك يقول: "إن أعظم نتائج العلم يمكن أن تستخدم في أغراض هدمية أو بنائية"[١].

كما أدرك أن العلم النافع له دور في بناء الحضارة الإنسانية، مما يجعلها تعيش في ازدهار وسلام وسعادة، يقول الأستاذ: "إن سعادتنا الدنيوية ستحصل . من جهة . بالعلوم الحديثة الحاضرة، وأنّ أحد الروافد غير الآسنة لتلك العلوم سيكون العلماء، والمنبع الآخر سيكون حتما المدارس الدينية، كي يأنس علماء الدين بالعلوم الحديثة"[٢].

فالعلم النافع للبشرية هو الذي تنشده رسائل النور، العلم الداخل النظرة الإيمانية الشمولية للحياة والكون، منطلق من قواعد اخلاقية تخدم الإنسانية وتوفر لها السعادة.

وعليه نداء الأستاذ للأخذ بغزارة العلم وسيلة لمعرفة النظام الإلهي الذي تبنى عليه فكرة تعايش الشعوب.

لذلك كان يعلي من شأن العلم، ولا يرضى الإهانة، يقول الأستاذ: "اقتلوني... ولكن حافظوا على شرف العلم ومكانته"[٣].

رابعا: التعايش والقيم المشتركة:

تفيض رسائل النور ببيان دور القيم المشتركة في الحياة وأهميتها، في إشاعة الأمن والسلام وتحقيق العدل والمساواة بين البشر، ولعل أهم هذه القيم: الحرية وحقوق الإنسان.

أ- الحرية: هي العنصر الأساس الذي يؤسس العلاقة بين الفرد والمجتمع، والتي يعرفها الأستاذ النورسي بقوله: "الحرية هي أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة مصونا من التعرض له، محفوظ الحقوق ولا يتحكم بعض في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤) ولا يتأمّر عليه غير قانون العدالة والتأدب، لئلا يفسد حرية إخوانه"[٤].

فلا يمكن تصور عمل إيجابي بدون حرية، لهذا أعطى الاستاذ أهمية لهذا الأساس حيث قال: "إن حريتي في أداء واجبي هي أهم من كل شيء، فهو أول ركن من دستور حياتي، وإن

---

(١) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ص:٢٥١.

(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٥٢.

(٤) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٣٩٤.

سلب حريتي بحبائل الأوهام الكاذبة وتقييدها بقيود الاستبداد والطغيان يجعلني أملّ الحياة مللا شديدا، ...وإنني اتمكن أن أعيش من دون طعام ولكني لا يمكن أن أعيش من دون حرية"[١].

كما رافع الأستاذ عن حرية التدين انطلاقا من قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦) قائلا: "إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه، وبإظهار الإسلام محبوبا وساميا لديهم، وذلك بالامتثال الجميل لأوامره، وإظهار الأخلاق الفاضلة، أما الاكراه والعداء فهما اتجاه وحشية الهمجيين"[٢].

وضرب لنا من عمق التاريخ عملا إيجابيا يؤسس لحرية التدين فقد: "تحاكم عمر ﷺ، في زمن خلافته مع نصراني من عامة الناس في محكمة واحدة، فإنّ عدم مؤاخذة مخالفة هذا النصراني لنظام حكومة الاسلام ودينها وقوانينها، تظهر بجلاء أن مؤسسة العدل لا تنحرف مع تيار ولا تنحاز إلى تعصب، هذه عمدة أساس في حرية الدين والضمير"[٣].

بينما نجد الأستاذ ينتقد أوروبا المتعصبة بدينها، والقوانين الجائرة التي تمعن في التضييق على حرية التدين وعدم احترام تنوع الديانات[٤]، لأنّ هذه القوانين تخل بمبدأ العدالة والمساواة بين الديانات. مما جعله يدعو إلى إقرار قانون حرية المتدينين[٥].

يتضح من هذا أن الحرية بالنسبة للإنسانية هي ضرورة مطلقة من أجل العيش المشترك، وحفظ الإنسان كرامته المشروعة، فـ"الحرية العامة هي المحصّلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الاضرار سواء بالنفس أو بالآخرين...على أن كمال الحرية أن لا يتفرعن (الإنسان) وأن لا يستهزء بحرية غيره"[٦].

المسألة الأساسية للحرية في رسائل النور ربطها بالعقيدة، حيث يقول الأستاذ: "المؤمن حر في ذاته فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلل للناس، بمعنى أنّه كلّما رسخ

---

(١) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٢٣٢- ٢٣٣.
(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٩٨.
(٣) المرجع نفسه، ص: ٤٤٦.
(٤) المكتوبات، ص: ٥٦٤.
(٥) الملاحق، ص: ٣٤٧.
(٦) سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٣٩٣.

الإيمان قويت الحرية"[١].

ثم يضيف"لأن الحرية الحسناء ماهي إلاّ تلك المتأدبة بآداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والرذائل"[٢]. "أما الحرية المطلقة فما هي إلا الوحشية المطلقة بل بهيمية، وتحديد الحرية ضروري من وجهة نظر الإنسانية"[٣].

فالحرية الشرعية هي التي "ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقّة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق انواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيّج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهّزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع الى التحضر. فهذه القوة الثالثة: "الحرية الشرعية" تعني التحلي باسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع اليها"[٤].

تلك هي الحرية التي على أساسها يكون التفاهم والترقي الاجتماعي، والتعايش السلمي في المجتمع البشري.

ب- **حقوق الانسان:** لا غرور أن تتطلع الإنسانية إلى جو تسوده العدالة، وتمحص فيه القضايا تمحيصا يقوم على النزاهة والدقة، فلا يعاقب بريء ولا ينجو مجرم.

إن رسائل النور رسائل تستهدف نشر ثقافة السلم مراعية لحقوق الإنسان، وصيانتها للكرامة البشرية، متشبعة من نور القرآن الكريم وسنّة الرسول ﷺ.

لهذا حارب الأستاذ النورسي العنصرية واعتبرها مرض اجتماعي ونفساني إذا دبّ في جسم الشعوب يحولها إلى أشلاء متناثرة، ويخل بميزان الكون وجماله. "إنّ من متطلبات العدالة الاجتماعية إقامة المجتمع على أسس من الشرف والمبادئ الإنسانية، ولا يمكن أن تتكون المجتمع الفاضلة، دون أن ترسخ جذوره في أرضية ملائمة وموافقة مع الناموس الطبيعي وشريعة الله التي فطرت طبيعة الإنسان عليها"[٥].

ويقول أيضا: "إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا

---

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٥٣٥. وسيرة ذاتية، ص: ٩٨.

(٢) صيقل الإسلام، ص: ٣٩٢-٣٩٣.

(٣) سيرة ذاتية، ص: ٩٨.

(٤) صيقل الإسلام، ص: ٥٠٠.

(٥) سعيد النورسي، الملاحق، ص: ١١٤.

توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنَّى له أن يبلغ العدالة!....إذ لا تكون هناك عدالة قطٍ وانما تهدر الحقوق ويضيع الانصاف"[١].

كما نجد الأستاذ النورسي ينتقد الدساتير والشرائع الوضعية، المنادية بحقوق الانسان، على أنها قوانين فشلت بعد اخفاقها في القيام بدور حفظ السلم وحقوق الإنسان في العالم، فهي قوانين ظاهرها يوحي بالعدالة، لكن باطنها الاخلال بالمساواة، مما يولد الظلم والنفاق في المجتمع[٢].

فـ" القانون الاساس للسياسة البشرية هو: يضحّى بالأفراد من اجل سلامة الأمة. وتُفدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة. ويرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن.

فجميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بالاستعمال السيئ لهذه القاعدة ولهذا القانون الأساس، فلقد تيقنت من هذا يقيناً قاطعاً. فهذا القانون البشري الاساس ليس له حدّ معين ولا ضوابط مخصصة، لذا فقد مهّد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة"[٣].

لهذا أحال لقاعدة جليلة ترسي العدالة الحقة في البشرية، مفادها: "لا يؤاخذ احد بجريرة شخص آخر. ثم ان البرئ لا يُضحّى به – حتى من اجل جميع الناس – دون رضاه، ولكن لوضحى بنفسه بإرادته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة"[٤]. كما دعا إلى معادلة حقوق الفرد والجماعة بـ "اتخاذ دستور الانصاف دليلا ومرشدا" و"الحفاظ على الحق والعدل"[٥].

إن دعوة الأستاذ النورسي إلى الحرية، والتي يطلق عليها الحرية الشرعية، وإلى ضبط معادلة حقوق الإنسان، تتميز بالشمولية وترتبط بالنظام الكوني، القائم على الحكمة، المنسجم مع النظام الشرعي وهو ميزان العدل"[٦]، "الذي يهيب للإنسان مقاما ساميا"[١].

---

(١) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٦٨.
(٢) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٤٥٨.
(٣) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٣٧٦.
(٤) المرجع نفسه، ص: ٣٧٧.
(٥) سعيد النورسي: اللمعات، ص: ٢٢٩.
(٦) الشعاعات، ص: ٣٥ و٢٦٨.

فتقدير الحرية حق قدرها، واحترام كرامة الإنسان والمساواة بين البشر، هي ما تدعوه دائما الفطرة الإنسانية السليمة والمنطق السوي والنفسية الطبيعية للإنسان، وتنفّره من كل ما هو شائن وقبيح، فكانت الفطرة التي جبل عليها الإنسان قاسما مشتركا ومصدرا طبيعيا لبناء الكثير من القيم في المجتمعات.

فهي قوانين فطرية نابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" وتدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل، فهي حقائق ودساتير الإسلام ما أشدها إيغالا في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقة وأصالة[٢]. دساتير تشرف بها الانسانية وتسمو، لتعيش في أمان وسلام.

خامسا: من الحوار إلى التعايش:

المتأمل في دعوة رسائل النور إلى التعايش السلمي يجدها قائمة على الحوار الفعال والجدي، الذي هو حوار معرفي متكافئ، يهدف إلى التفاهم والالتقاء على نقط وقواسم مشتركة وليس إلى التقابل الجدلي العنيف، أو الصدم الحضاري كما يتوهم أن يكون، الذي يحول دون إيجاد مناخ مناسب للتواصل والتعايش الحضاري بين المجتمعات.

فالأستاذ يدعو إلى "التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد... والرابطة التي تربط المجموعات البشرية بدلا من العنصرية، وهذه من شأنها الأخوة الخالصة والسلام والوئام"[٣].

وإذا كانت مجالات الحوار كثيرة، فلعل أهمها وأبرزها ما يتصل بالأديان وما فيها من قيم ومقومات، وخاصة ما يرتبط بالمعتقدات، لأجل ضمان حرية الإنسان الدينية، وبناء عالم تسوده المحبة والتعاون.

لهذا نجد الأستاذ النورسي يدعو إلى الحوار والتواصل مع المسلمين وغير المسلمين، بأسلوب الاقناع والاستدلال، ويصرح لغير المسلمين: "وليطمئن غير المسلمين بأن اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الثلاث (الجهل والضرورة والنفاق) ليس إلاّ...لأننا ننظر فيهم

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٦٤-٢٦٧.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٥٢٦.

(٣) سيرة ذاتية، ص: ١٤١.

الانصاف[1].

ويرشد إلى أهم مبدأ من مبادئ الحوار الناجح هو الاقناع وليس الاكراه، يقول الأستاذ: "إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه. وبإظهار الإسلام محبوباً وسامياً لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامره وإظهار الأخلاق الفاضلة. أما الإكراه والعداء فهما تجاه وحشية الهمجيين"[2].

أثبت الاستاذ تبني هذا المسلك الإيجابي بزيارته للبطريرك "أثيناغوراس" في مقره الواقع في استانبول لإيجاد سبل تعاون بين مسلمي تركيا ومسيحييها، لمواجهة الموجة الإلحادية المعادية التي بدأت تغزو تركيا.

كما أرسل الأستاذ النورسي إلى البابا "بيوس الثاني عشر" في الفاتيكان مجموعة من رسائل النور على سبيل الإهداء، وقام بابا الفاتيكان بالرد عليها شاكرا ومقدرا روحه المتسامية وأخلاقياته الكريمة[3].

إن دعوة الأستاذ النورسي إلى الحوار هي دعوة إلى الاعتراف بالجانب الروحي من الإنسان وتقوية الجانب السامي منه، وهذا أساس رسالات الأنبياء التي تجمع المعنوي والروحي كشرط لازم لسمو الإنسان.

وإذا ما تحقق الحوار على هذا النحو، فإنّه تلقائيا سيؤدي إلى تفاعل إيجابي لا يلبث أن يصبح حاجة ملحة يشعر بضرورتها كل طرف، لما يكتسب من قيم جديدة يغني بها قيمه الخاصة، في تراكم ناجع يتجه نحو خط إنساني شامل وجامع يؤدي بدوره إلى تحقيق السلام وما يتصل به من غايات كونية مأمولة.

فإنّ التفاعل والحوار يظل المنهاج العملي الحقيقي الذي يعتمده الأستاذ النورسي في رؤاه للعلاقات الحضارية، من منطلق أن الحوار المجدي بين الحضارات والثقافات والديانات خطوة ضرورية لتجذير عرى المحبة والتعاون بين الشعوب، على اختلاف ألوانها، ومحوا للاعتبارات الإثنية التي تقف أمام رسالة التعاون والتعايش السلمي.

---

(١) صيقل الإسلام، ص: ٥٢٩-٥٣٠.

(٢) سيرة ذاتية، ص: ٩٨.

(٣) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٣٤٦. وسيرة ذاتية، ص: ٤٣٨-٤٣٩.

الخاتمة:

لا شك أن الوجه الإنساني للعالم اليوم وجه مخيف و"هموم العيش أحاطت بالناس كلهم من كل جهة"، وأزمة العالم اليوم تكمن في تغيراته ضمن حالات عدم التعيين، وليس أمام المجتمعات الإنسانية إلا أن تختار بين "صدمة المستقبل" أو تشكيل "دستور عالمي" مهمته مواجهة تحديات الأزمة القائمة والقادمة.

ومن هنا تبرز "كليات رسائل النور" باعتبارها رسائل نابعة من فيض القرآن الكريم[1]، الذي هو "مربٍّ للعالم الانساني.. وكالماء وكالضياء للأنسانية الكبرى التي هي الاسلامية.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي الى ما خُلِقَ البشرُ له.. وكذا هو للأنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الانسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدسٍ مشحون بالكتب والرسائل. حتى انه ابرز لمشرب كل واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلكِ كل واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل[2].

لهذا جاءت رسائل النور ترسم لثقافة التعايش، تدعو إلى الحاجة وتقتضي الإبداع الذي تجلى في تراكم البناء الحضاري الإنساني، وعبرت عن هذا الإبداع من خلال ما تؤسس له من دعوة إلى الحوار والتعاون المتبادل في العلاقات الإنسانية، والتعايش السلمي، وتتبنى مبادئ وحدة البشرية والمساواة بين الناس على تعدد ألوانهم وأعراقهم، وتعظيم الجوامع المشتركة بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات.

والتعايش السلمي في ظل التنوع الذي تدعو له رسائل النور، هو التواصل الإيجابي النافع الذي يجعل من أفراد المجتمع كتلة موحدة وفاعلة تتجاوز الخصائص التكوينية في سبيل بناء أرحب وأعمق يجعل من خصوصيات الهوية المميزة لكل أمة عامل تنوع وإثراء لصياغة

---

(١) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٣٦٣.

(٢) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٢٦٧. وإشارات الإعجاز، ص: ٢٢.

نمط مجتمع جديد يستوعب الأفراد والجماعات المختلفة في اتجاهاتها ودياناتها.

فالحركة الإيجابية البناءة أساس هذا المشروع، "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام"[1].

مكتبة البحث:

سعيد النورسي:

١- الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، تركيا، ١٩٩٩م.

٢- المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، تركيا، ١٩٩٩م.

٣- اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.

٤- الشعاعات: ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، تركيا، ١٩٩٩م.

٥- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م

٦- المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.

٧- الملاحق، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.

٨- صيقل الإسلام، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا. ١٩٩٩م.

٩- سيرة ذاتية: إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، تركيا، ١٩٩٩م.

١٠- أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، مركز الكاتب للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

١١- فريد الانصاري: مفاتح النور، نسل للنشر، إستانبول، تركيا، ط٢٠٠٤ م.

١٢- عمار جيدل: ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية، نسل للطبع والنشر، استانبول، تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٣- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

١٤- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م.

(١) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٦٩.